

بين الدين والالحاد

لا يعزب عن الناقد الخبير، ان من الامراض الاجتماعية التي تكونت مع نشوء المدينة الحديثة الالحاد أو اللادين وضاف الى ذلك الآلات الميكانيكية التي امتاز بها هذا العصر على غيره من العصور والتي نشاهدها في سائر مظاهره وبالرغم عن نفعها الجزيل - كانت مع داء الالحاد - من الاسباب المباشرة لفقد الانسان مشاعره واحساساته الروحية التي تمنحه السعادة والاطمئنان فصار كآلة مستخدمة لأصحاب رءوس الاموال المستبدّين، وهذه من المشاكل الاجتماعية العويصة التي لم تحل بعد، ومن الاسباب الجوهرية التي زادها تعقيداً مظاهر المادة المتجلية في سائر مناحي حياة اوربا، فالنفوس مجردة من الايمان الفطري الذي يفسح ارجاء الحياة ويملأها قوة وآمالاً ولطفاً وتسامحاً والعالم المتمدن دائماً في اضطراب وقلق وتشاؤم، محفرف بالمتاعب والايخاطر، والعقول ضجرة قانطة، لا ترى أمامها الا حياة ضيقة الدائرة، وليس للتعاليم الدينية تأثير على النفوس البتة، وانما تلك مظاهر تنمحي من الذاكرة في حينها والعلة في ذلك أن المدينة لم تختمر اثناء تكونها بروح الدين الفطري الضروري للشعوب، كضرورة الاحساسات التي يصدر عنها، اذ هو خالد للمجتمع البشري مغذي الشعور الكامن ومضعف من حدة الانفعالات الطبيعية التي تصدر من اعماق النفوس ليعد بذلك التوازن في الحياة الاجتماعية بين عناصر المادة وعناصر الاحساسات الروحية وهذا مفقود لدى الشعوب الاوربية عموماً في حين أن المدينة الاسلامية استمرت قروناً وهي في ازان تكافح في ميادين الرقي والحضارة والعمران، وما ذاك الا بفضل ما زودها الدين الاسلامي من الايمان القوي الذي امتزج مع خلايا العروق والافئدة فأكسبها قناعة واقداماً ونشاطاً، ويشهد لذلك تاريخنا المجيد.

بيد أن المكون لفكرة الالحاد أفراد يزعمون أن ليس هناك مدبر ولا مصير لهذه الاكوان وانما الطبيعة خلقت نفسها بنفسها بدون احتياج لأحد وما دون هذا الا خرافات وأوهام فمجباً لقوم خدعتهم مداركهم بهذا التفكير العقيم مع ظنهم أنه خلاصة البحث العلمي المجرد، اذ لو أنهم القوا نظرة اجمالية على ما حولهم من الفضاء الواسع اللانهائي لوجدوا أنه ما من حركة من حركاته الا

ما يضرهم في صدره نار التمرد ويشعل فيه نار الرغبة بالعمل بل نور العمل والاصلاح، ولقد كان رهين الحبسين المعري أسوأ الناس حظاً وأشدّهم بؤساً وأرقهم شعوراً ومع ذلك فانا لننمي أله الشخصي حينما نسمع في شعره رنة الالم القومي بل الانساني، ولقد انتقد المعري المظالم والفساد السياسية والدينية في عصره وصاح بالمرائين صيحات مصعقات وما فقد بعد ذلك النظر الاعلى ولا تعامى عن الحقيقة الكبرى في الجمال الصافي حيث يقول:

اذا ما فعلت الخير فاجعله صافياً

لربك وازج عن مديحك السنا

فكونك في هذي الحياة مصيبة

يعزبك عنها أن تبر وتحسنا

هو ذا الالم القومي بل الالم الانساني الذي يتمثل في الشاعر الكبير فيرفعه الى أوج المعرفة والتصوير ويسلحه بالجرأة زينة الحق، اذن فالشاعر الكبير يتألم بالالم القومي ولكن ماذا يهيج فيه الالم؟ وهنا يثبت الريحاني أن الدموع هي مظهر من مظاهر الضعف لا من مظاهر القوة وأنها تبدو على الضعفاء لا على الاقوياء فينصح الينا بتجفيف مستنقعات الدموع وسلااتها، إذ يجب على الشاعر المتألم أن يظهر قوياً في أله لا ضعيفاً بدمعه وأن يبعث الحياة والقوة في نفوس مواطنيه لا أن يبكي ويدعوهم للاستسلام والبكاء، ان الدموع تسكن القوى والالم يثيرها، والشعراء الكبار مثل ابي العلاء ودي مويي قاسوا من آلام الحياة أشدها وأنواعها لما كان في زمانهم من جهل وظلم ولكنهم لم يبكوا ولم يذرفوا الدموع الغالية بل كانوا ثائرين متمردين.

عبد المجيد حجي



ولها نظام متين، فنشاهد الجوهر الفرد - وهو أقصى شيء يرى بالمنظار - الى أعظم كوكب في الفضاء الا وله قانون لا يتجاوزه، سنة الله في الكون ولن تجد لسنة الله تبديلاً، فالعالم آيات في الابداع والتناسق والتناسب يستحيل أن يكون نفسه بنفسه والا لوقعت فيه فوضى وفسد واضمحل واندر ولم يتمش بنواميس ثابتة واذا ما خدعتم نواميس المدنية الحديثة واختراعاتها وطنوا أمها يوماً ما تكشف عن حقائق ما وراء الطبيعة مباشرة قياساً على ما استنبطت من بديع الاختراعات التي سهلت للانسان كل مطالبه الحيوية فان هذه ليست في مقدوراتهم ما دام التقدم الذي وقع لا يتناول الا ما هو حائظ بنا وندركه بحواسنا بمقتضى ما تكيفه لنا ولا يتعدى عالمنا الارضي، حيث أن الله خلق الانسان ليفكر ويعمل في حيز من الوجود تحوطه عناصر لا يستطيع تخطيها، فاذا علموا أنه لا يمكن للانسان ان يتطلع الى ما وراء نطاقه أو يبحث عن عوالم لم يكن من ذراتها ولم يبعثه الله في وسطها، وغاية ما منحه دفع تلك الحواجز الحائطة به ليتسع قليلاً حيز التفكير والعمل ويسير نظام النشوء والتطور ثم أهله بحواس خاصة وعقل نسي ليتفهم بهما ما هو حائظ بظروفه من الكائنات، نعم اذا علموا هذا تيقنوا أنه لا يستطيع البشر أن يكشف عن أسرار السماء ما دام لم يهب عقلاً عاماً ولا حواس أخرى ليدرك بهما ما هو محجوب عنه بدليل أن البعض حاول أن يقوم برحلة الى بعض الكواكب المجاورة لنا فتمزقت اعمالهم وتحطمت مساعيهم، لعدم وجود مؤهلات طبيعية تسهل طرق البحث، واذا ما اكتشفت عناصر لتغلب على العناصر القوية التي تحول دون البحث في الفضاء فان هذه المحاولة لم تأت بالنتيجة التي تتطلب منها، وليس مفهوم هذا أنه لا يمكن الوصول الى بعض الكواكب القريبة بل ربما يجدون مواداً تغلب على الحواجز توصلهم الى كوكب من الكواكب وانما الحقيقة الواضحة أنه لا يمكن للانسان أن يكشف اسرار السماء، وان اكتشفت بعض الكواكب فلا يزيد المؤمن بذلك الا اطمئناناً.

وعلاوة على ما تقدم، فان الدين قد امتد من أول التاريخ الى الآن، ولا زال سائداً في الوجود بالرغم على عبور الانسانية خطوات واسعة في الرقي لم تتقدم في العصور السالفة، فكل هذه المعارف التي ثقفت الانسان واكسبته خبرة واسعة لم تؤثر على الدين أثناء التخطيط في مضار التقلبات الفجائية كما كان يتوقع الملاحدة، بل هو العامل الوحيد الذي قامت على اسسه المدنية الاسلامية، وباقتباس عناصر الدين الاسلامي تكونت المدنية الاوربية خلافاً لبعض المستشرقين الذين ينكرون هذا ويودون بذلك التزليل والمغالطة، ولدينا أدلة

كثيرة منها الاختلاط الذي وقع بين الاندلسيين بما جاورهم من قارة اوربا، وبما كان من تأثير الغرب بالثقافة الاسلامية في عهد الحروب الصليبية وغير ذلك من العوامل التي جعلت الغرب يرتشف من عناصر المدنية الاسلامية العذبة.

هذا وقد خامر بعض الشرقيين الاقتداء بما وقع أثر نهوض الغرب من الثورات على الدين، مثل ما وقع في فرنسا وروسيا وغيرها فجنوا على قومهم جنابات فظيعة ونكلوا بالرهبان والقسيسين وهدموا الكنائس والاديرة، فاعتقد دعاة الاصلاح ان بتقليد هذا ينهض الشرق وينجح الحرية والخروج عن الاستعباد، فقد ضلوا سواء السبيل ولو تعمقوا في اصول المسألة وفحصوا الموضوع لتجلت لهم الحقيقة عكس ما تخيلوا.

وصفوة البحث أن الانقلابات التي وقعت في اوربا كانت متسببة عن التحول الذي كان سائداً في حياتها ولم تقو على مسيرة النهوض الاسلامي قروناً عديدة وحين تأثرت بالمدنية الاسلامية وحاول المصلحون النهوض بها وجدوا قوانين الديانة المسيحية التي تسير حياتهم خالية من روح الحياة والنهوض، دالة على الت كشف والرهبانية والزهد وآمرة بطرح سائر اعمال الدنيا من مدنية وسياسة وجميع منافع المجتمع ليتأهل الانسان بقلب منكسر ينتظر الجنة، وهذا ضمن الكتاب المقدس، والحق أن شريعتهم نزلت بهذا لدى فسادهم وانهم اكرمهم في الشهوات والمملذات ليحصل التوازن وقد حصل برهة ثم رجعت الفوضى والاباحية، واذا فهنا هذا سهل علينا ان نعذر زعماء الثورات الذين تبذوا القديم ملتصين عناصر الحياة من الملة الاسلامية، ليقوموا بها مجددهم في تلك العصور المظلمة، ولذلك فلا نفتقر الى الاقتداء بهم ما داموا قد اقتدوا بنا من قبل.

على أن الملاحدة في اوربا قد خفت صوتهم قليلاً في السنوات الاخيرة وتغيرت مناهج بحوثهم وضعفت حدتهم واحجموا عن بث سمومهم في المجتمع، اذ علموا أن أفكارهم لا تواف الحياة الطبيعية، وحيث كان الشرق عبارة عن صدى ما يقع في الغرب بمقتضى التأثير بثقافته، والاحتكاك بآرائه ومذهبه، فقد انقلبت آراء مفكره رأساً على عقب فتراجعوا الى القديم وتفقدوا تراثهم بتنميته وتكييفه، في صور توافق الاساليب الحديثة فوجدوا فيه الارتياح والاطمئنان، والانتاج والنفع العميم الذي ستقوم على اسسه الحضارة الاسلامية في المستقبل لتكون وليدة بيئتها ووسطها وعقليتها الخاصة، مطبوعة بطابع يميزها عن غيرها من الحضارات.

أحمد بن احسان

« يتبع »

★ مجلة المغرب ★

MAJALLAT EL MAGHRIB

Rédaction et Administration

Immeuble Mathias
Rue Jules-Poivre — RABAT

Publicité :

Agence de Casablanca : 137, Avenue Mers Sultan

الادارة والتحرير

ملك ماتياس — نهج جول بوافر — بالرباط

الاعلانات: فرع الدار البيضاء ١٣٧ شارع مرس سلطان تلفون 03.70

Prix de l'Abonnement pour l'année :

Maroc, Algérie, Tunisie, Syrie :	60 frs
France et Colonies :	100 -
Etranger :	120 -

المغرب - الجزائر - تونس - سوريا	٦٠ فرنكا	الاشتراك عن سنة
فرنسا ومستعمراتها	١٠٠	
الممالك الأجنبية	١٢٠	

الى اصحاب الاطومبيلات بالمغرب



الدستوريات التي عليها هذه العلامة لا تعطي سوى

الاسانس من الدرجة الاولى

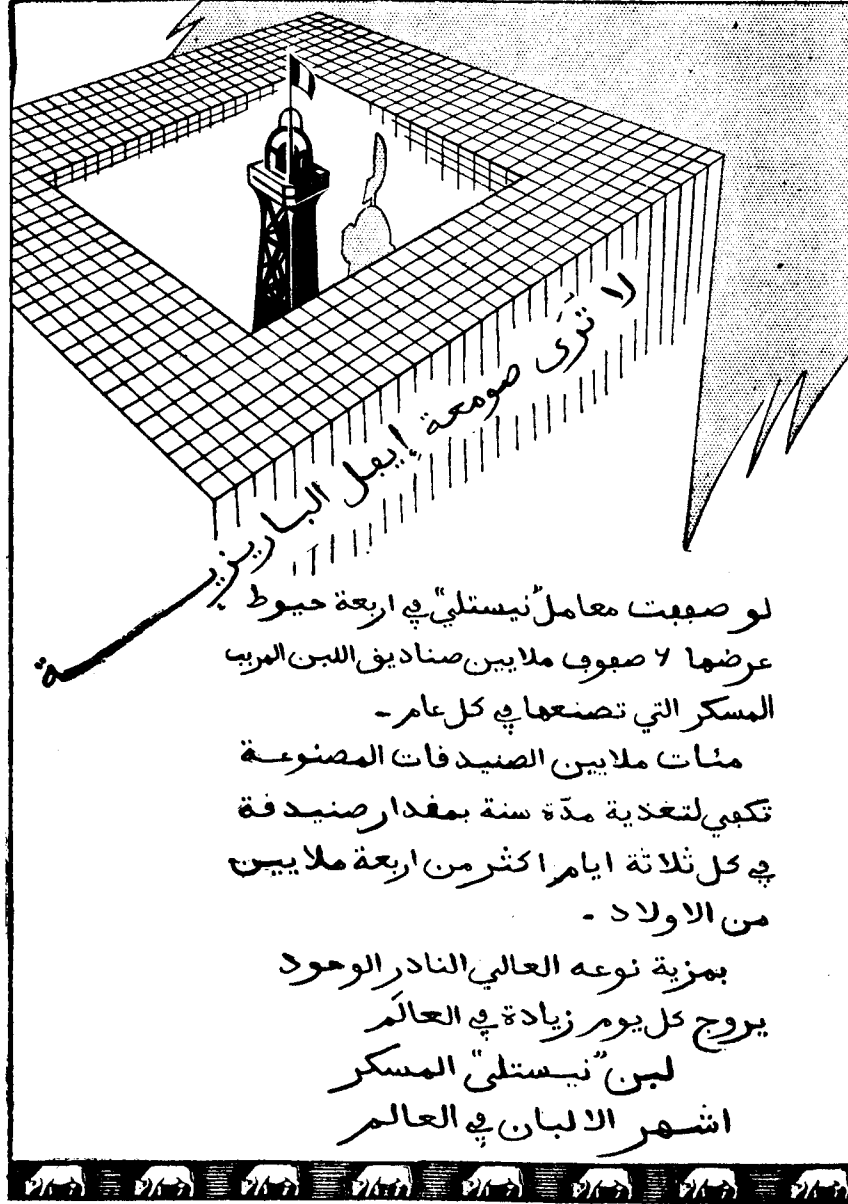
Société Française de Distribution des Pétroles au Maroc

الشركة الفرنسية

وهي شركة لا اسمية راس مالها 7.000.000 فرنكا

Casablanca — 23, rue Nolly

الدار البيضاء — 23 نهج نولي



مشتريات ورسائل باللغة العربية في (تربية الاطفال الصحية) تعطى مجاناً في

- دار نيسلي -

بملتقى نهجي فيدرين وكولي - بالدار البيضاء